

د. صلاح القلب في القراءة الإلكترونية

إعداد

سيد بطاويح جاد محمد

دكتوراه العلوم اللغوية

Sayedgaad85@gmail.com

ملخص البحث:

يخاطب القرآن الكريم القلب في آيات كثيرة، ويسند إليه الأفعال في مواطن عدة بل يجعله محورا لكثير من الأشياء، ومسئولا عنها.

وللقلب مكانة خاصة في القرآن الكريم، والمراد به ذلك الجوهر المجرد الذي ترتبط به إنسانية الإنسان فهو عبارة أخرى عن النفس الإنسانية، ولذا تنسب إليه الأقوال والأعمال النفسية مثل التعقل، والإيمان، والكفر، والنفاق، والهداية، والرحمة، والغفلة وغيرها من الحالات التي وردت في القرآن الكريم.

The Noble Qur'an addresses the heart in many verses, assigns actions to it in many places, but makes it the focus of many things and responsible for them. The heart has a special place in the Holy Qur'an, and what is meant by that is the abstract essence to which the humanity of mankind is linked. The Holy Quran.

تعددت أوصاف القلب وصفاته فى آيات الذكر الحكيم ومنها:

١-العقل والقلب:

قال تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آدَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ". الحج ٤٦

وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴿٣٧﴾﴾ ق: ٣٧

قال الراغب الأصبهاني: أى علم وفهم^١، وقال المفسرون القلب هو العقل، أى لمن كان له عقل.^٢

ومن الناحية الطبية يذهب العلماء إلى أن هناك تغذية عصبية للقلب توجه وتؤثر فيه وتنشطه وتبطئه حسبما تريد وتبعا للإشارات الصادرة لها من المراكز العليا للمخ.^٣

والقلب عين البصيرة وهو ما يعبر عنه الدكتور مصطفى محمود بقوله: "لا بد - إذن - أن يشف القلب وترق الحواس لترتفع الحجب ويستطيع الإنسان أن يرى بعين البصيرة وليس بعينه البشرية ويتجاوز سجن الواقع المحدود بالأسباب والمسببات ليطل على ما وراءه"^٤

وبهذا نجد أن القرآن قد سبق العلوم الحديثة فيما أخبر به، وهذا يدل على أن القلب له استقلالية عن المخ وعلميا له قابلية التفكير والتعقل.

١ - السابق نفسه

٢ - تفسير البيضاوى - تح عبد القادر عرفات العشا حسونة - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦م - ٢٣٢/٥

٣ - الاعجاز الطبي في القرآن الكريم - سيد الجميلى - مكتبة التحرير - ط٣ - ٢٢٣

٤ - كتاب لغز الموت - مصطفى محمود - ص ٦٠

٢- المسؤولية في القلب

يقول الله سبحانه: " لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ". البقرة ٢٢٥

ويقول أيضا "وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ". الأحزاب

٥

"وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ" أى عزمتم وقصدتم إلى اليمين، وكسب القلب: العقد والنية.^١

"وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ" وهو ما قلتموه عن طريق العمد^٢، وإنما الإثم على من تعمد الباطل^٣

فالكسب والعمد لفظان يدلان على إرادة الفعل، وإرادة الفعل ترتبط بالنية ومحلها القلب، والعمد يدل على العزم والتصميم والقصد وهذا أساس المسؤولية في الإسلام، لأن الله رفع المسؤولية عن إتيان العمل خطأ ودون قصد.

٣- شتات القلب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۗ ﴾ الحشر: ١٤

شتت الشتت الافتراق والتفريق يقال شت شتا وشتاتا وانشت وشتت أى تفرق جمعهم، جاء القوم اشتاتا وشتاتا، يقال وقعوا فى أمر شت وشتى.^٤

١ - تفسير البغوى - ص ١٣٠

٢ - فتح القدير - الشوكانى - ١١٥٧ / ٢١

٣ - تفسير ابن كثير - ٣٧٩ / ٦

٤ - لسان العرب - ابن منظور - مادة شت / القاموس المحيط الفيروز بادى شت

وجاءوا اشتاتا أى متفرقون واحدهم شت بالفتح ويقال شتان ما بينهما، أى بعد ما بينهما.^١

وجاء الاستعمال القرآني ليصف شتات القلوب بقوله " وقلوبهم شتى " أى متباغضون غير متفقين.^٢

وجميعا يعنى مجتمعين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون.^٣ أو يقصد بها أن تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف.^٤

٤- القلوب اللاهية:

قَالَ تَمَالَى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ (٣) الأنبياء: ٣

اللهو واللهوة: المرأة الملهو بها، ولهى عنه ومنه ولها لهيا ولهيانا وتلها عن الشئ كله غفل عنه ونسيه وترك ذكره وأضرب عنه والهاه واشغله. ولهى به أحبه لأن حبك الشئ ضرب من اللهو به وفى الحديث هنا الغناء لأنه يلهى به عن ذكر الله وكل لعب لهو.^٥

وعلى هذا فمعنى لاهية قلوبهم يعنى شاغلة غافلة أو ساهية معرضة عن ذكر الله متشاغلة عن التأمل والتفهم.^٦

١ - مختار الصحاح - الرازى - تج: محمود خاطر مكتبة لبنان - شت

٢ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢٤٠/٦

٣ - تفسير البيضاوى - ٣٢٢/٥

٤ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣٤١/٤

٥ - القاموس المحيط - الفيروزبأدى - لها

٦ - القرطبي - ٢٦٨/١١

٥- القلوب الغافلة:

قَالَ تَمَّالِي: ﴿ وَلَا تُطْع مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبِعْ هَوْنَهُ ﴾ الكهف: ٢٨

غفل عنه يفعل غفولا وغفلة، وأغفله عنه غيره وأغفله تركه وسها عنه. واستغفله تحينت غفلته وقيل هو في غفل من عيشه أى فى سعة وغفلت صرت غافلا. ^١ والغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ. يقال: غفل فهو غافل، أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا أى تركناه غير مكتوب فيه الإيمان. ^٢

وقوله أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، يعنى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا. ^٣ فشغل عن الدين والعبادة بالدنيا. ^٤ وهنا الخطاب للقلب وكأن القلب هو الإنسان ذاته وهو المتحكم فى جميع أفعاله فإذا غفل القلب غفل الإنسان وتلهى وشغل.

٦- غمرة القلوب:

قَالَ تَمَّالِي: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٣

أصل الغمر: إزالة أثر الشيء. ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر سيله: غمر، وغامر. قال الشاعر: والماء غامر خذاها. وبه شبه الرجل السخي، والفرس الشديد العدو، فقيل لهما: غمر. كما شبهها بالبحر. والغمرة: معظم الماء الساترة لمقرها. وجعل مثلا للجهالة التي تغمر صاحبها، وإلى نحوه أشار بقوله: فأغشيناهم، ونحو ذلك من الألفاظ.

^١ - انظر اللسان والقاموس المحيط - مادة غفل

^٢ - المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصبهاني - ٥٤٣

^٣ - البيضاوى - ٤٩٣/٣

^٤ - تفسير ابن كثير - ٨٤/٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرِيَّتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٥٤) ﴿ المؤمنون: ٥٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرِيَّتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (١١) ﴿ الذاريات: ١١

وقيل للشدائد غمرات. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي عَمْرِيَّتِ الْكُوفِ ﴾ (٩٣) ﴿ الأنعام: ٩٣. ورجل غمر، وجمعه أغمار.

والغمر: الحقد المكنون، وجمعه غمور. والغمر: ما يغمر من رائحة الدسم سائر الروائح. وغمرت يده، وغمر عرضه: دنس. ودخل في غمار الناس وخمارهم - أى الذين يغمرون. والغمرة: ما يطلى به من الزعفران. وقد تغمرت بالطيب. وباعتبار الماء قيل للقدح الذى يتناول به الماء: غمر. ومنه اشتق تغمرت إذا شربت ماء قليلا. وقولهم فلان مغامر إذا رمى بنفسه فى الحرب: إما لتوغله وخوضه فيه كقولهم يخوض الحرب. وإما لتصور الغمارة منه، فيكون وصفه بذلك كوصفه بالهوج ونحوه.^١

الغفلة والغمرة تحبط العمل ولما نسب ذلك إلى القلب، صار هو المتحكم فى الإنسان.

٧- ريبة القلوب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَرَأَيْتَ قُلُوبَهُمْ قَهَرَتْ فِي رَبِّهِمْ يَتَذَدُّونَ ﴾ (٤٥) ﴿ التوبة: ٤٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (١١٠) ﴿ التوبة: ١١٠

ريبة شك والريبة بالكسر ريب والريب ما رابك من أمر وقد رابنى الأمر وأرابنى وأربت جعلت فيه ريبة، وأرابنى أوهمنى الريبة. ورابنى فلان يربينى إذا رأيت فيه شك.^٢

^١ - المفردات فى غريب القرآن - ٥٤٧: ٥٤٨

^٢ - تاج العروس - الزبيدي - مادة (راب)

ومن خلال متابعة كتب التفسير نرصد ثلاث دلالات لمعنى الريبة:

١- شكاً ونفاقاً، لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بنائه.^١

٢- حسرة وندامة، لأنهم ندموا على بنائه.^٢

٣- لا يزال هدم بنيانهم حرارة وغيظاً في قلوبهم.^٣

وربما الربيب يعطى كل هذه الدلالات من شك وغيظ وتحسر بل ويعكس لنا حالة قلق النفس وغياب الطمأنينة، وتأثير كل ذلك على الإنسان.

٨- ختم القلب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧) البقرة: ٧

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ (٤٦) الأنعام: ٤٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣٣) الجاثية

الختم أصل واحد وهو بلوغ آخر الشيء يقال ختمت العمل وختم القارئ السورة، وختم كل مشروب آخره، قال تعالى "ختمه مسك" أي آخر ما يجدونه منه عند شربهم إياه رائحته المسك.^٤

^١ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تح: صفوان عدنان داوودي - دار القلم - الدار الشامية - ط ١ - ٤٨٢/١هـ - ١٤١٥هـ

^٢ - فتح القدير - الشوكاني - ٢/٤٠٤ - ٤٠٧

^٣ - زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - دار المکتب الاسلامی - بيروت - ط ٣ - ١٤٠٤هـ - ٣/٥٠٢

^٤ - مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية - (ختم)

الختم والطبع: يقال على وجهين: مصدر ختمت وطبعت : وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع . والثاني: الأثر الحاصل عن النقش: ويتجاوز تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب. نحو " خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ " و " وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ ". وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتبارا بالنقش الحاصل. وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر. ومنه قيل ختمت القرآن - أي انتهيت إلى آخره. فقله: " خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ " وقوله " إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ " إشارة إلى ما أجرى الله به العادة: أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل، أو ارتكاب محذور، ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق، يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي. وكأنما يختم بذلك على قلبه.^١

وهنا نجد أن القلب هو محور شبكة الاحساس، ونجم تدور حوله كواكب الحواس.

٩- الطبع على القلب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥٥) النساء: ١٥٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِقُونَ ﴾ (١٠٨) النحل: ١٠٨

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١١) محمد: ١٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَضُوا يَا نَّ كُفْرًا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧) التوبة: ٨٧

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٩٣) التوبة: ٩٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧٤) يونس: ٧٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠١) الأعراف: ١٠١

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣٥) غافر: ٣٥

^١ - المفردات في غريب القرآن - ٢٠٥

جاء لفظ الطبع بصيغة الفعل الماضى، والماضى المبني للمجهول، والمضارع. ومعنى الطبع فى اللغة: أن تصور الشئ بصورة ما، كطبع السكة وطبع الدراهم.^١ ويدخل الطبع فى معنيين، الأول هو مثل على نهاية ينتهى إليها الشئ حتى يختم عندها. والثانى: يقال على هذا طبع الإنسان وسجيته التى جبل عليها والطباع كالتبيعة مؤنثة وعن الزجاج الطباع واحد مذكر كالنحاس والنجا. والطابع بالفتح والكسر الخاتم الذى يختم به.^٢

والطبع يكون على جميع القلب فقوله على قلب كل متكبر أى على كل أجزائه وقراءة التنوين لعموم أفراد القلوب على وصفه بالتكبر والتجبر أو على حذف مضاف أى كل ذى قلب.^٣

١٠- القلوب المقفولة:

قَالَ تَمَالِي: ﴿أَفْلا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَّاتَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ (٢٤) محمد: ٢٤

القفول الرجوع من السفر وقيل القفول رجوع الجند بعد الغزو يقفلون بالضم قفولا وقفلا، والقفل اسم للجمع^٤ والقافلة سميت بذلك تفاعلا بقفولها عن السفر الذى ابتدأته.^٥

أقفالها الله (عز وجل) عليهم فهم لا يعقلون أن عليها أقفالا كأقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها، وأصل القفل اليبس والصلابة، ويقال لما يببس من الشجر القفل والقفل النبت^٦

^١ - المفردات - الأصفهاني - (طبع) - ٤٤٩

^٢ - مقابيس اللغة - ابن فارس (طبع)

^٣ - تفسير البيضاوى - ٩٣ / ٥

^٤ - تاج العروس - الزبيدي - (قفل)

^٥ - اللسان - ابن منظور - (قفل)

^٦ - زاد المسير - ابن الجوزى - ٤٠٨/٧ - روح المعاني - الألوسى ٧٤/٢٦

ومن خلال ذلك نرى دلالة ثانية للقول غير الرجوع ألا وهى اليبس والصلابة فكأن المعنى أن لشدة هذه القلوب وصلابتها أقفلت عن كل شئ.

وإقفال القلوب " يفيد الانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر ".^١

١١- حسرة القلب:

قَالَ تَمَالَى: ﴿لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ آل عمران: ١٥٦

فى اللغة حسرة من حسر، والحسر كشطك الشئ عن الشئ يحسره حسرا وحسورا فأنحسر: كشطه والحاسر الذى لا بيضة على رأسه، وامرأة حاسر إذا انحسرت عنها ثيابها وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر والجمع حسر وحواسر. والانحسار الانكشاف.^٢

" لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ " لما هم فيه من الخزي والندامة، ولما فيه المسلمون من النعيم والكرامة.^٣

والندامة هى الحزن فى قلوبهم لقلة اليقين بربهم واللام هنا لام العاقبة، أى: قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة فى قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتيب فائدة ما على ذلك أصلا، وقيل هو تعليل للنهى بمعنى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول واعتقاده ليحمله الله حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون قلوبكم منها.^٤

^١ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود - ٩٩ / ٨

^٢ - تاج العروس - الزبيدي - حسر

^٣ - تفسير القرطبي - ٢٤٧ / ٤

^٤ - ينظر - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود / ١٠٤ - فتح القدير ٣٩٣ / ١ - الدر الثور- السيوطي ٣٥٧ / ٢

١٢- الإلقاء والقذف فى القلوب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾ (١٥١) آل عمران: ١٥١

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ (١٢) الأنفال: ١٢

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ (٢) الحشر: ٢

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيحًا تَمُوتُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيحًا ﴾ (٣) الأحزاب: ٢٦

فى اللغة: "لقيته لقاء ولقاء وتلقاء ولقيانا ولقيانه ولقيه ولقيا، ويكون ذلك فى الخير والشر وهو فى الشر أكثر ويعنى طرحه".^١

"وقذف بالشئ قذفا فانقذف رمى والنقاذف الترامى، وعن ابن الأعرابى غالبا ما يكون القذف بالحجارة والحذف بالحصى، وعن الليث القذف بالسهم والحصى والكلام وكل شئ".^٢

والقذف: الرمى البعيد. ولاعتبار البعد فيه قيل: منزل قذف وقذيف، وبلدة قذوف - أى بعيدة.^٣

وقد اجتمع المفسرون على أن القذف بمعنى الإلقاء أى ألقى فى قلوبهم الرعب.^٤

ومن خلال السياق القرآنى لورود الإلقاء والقذف فى السياق القرآنى على نقطتين:

^١ - اللسان - ابن منظور - لقى

^٢ - اللسان - ابن منظور - قذف

^٣ - المفردات - الراغب الأصبهاني - ٥٩٩

^٤ - ينظر تفسير البيضاوى ٩٤/٣ - زاد المسير ابن الجوزى ٣٧٥/٦ - الوجيز فو تفسير الكتاب العزيز - الواحدى ١٠٨١/٢

الأولى: اسناد الإلقاء لله (عز وجل) "سنلقى" و "سألقى" وذلك فى خطاب الغرض منه تثبيت للمؤمنين فهى جملة استئنافية جارية مجرى التعليل لإفادة التثبيت لأنه مصدقة ومبينة لإعانة الله لهم وتثبيتهم.^١

الثانية: أن الإلقاء غير القذف، فى حين جعل كثير من المفسرين الإلقاء هو القذف.

فالإلقاء لا يشترط فيه البعد وإنما يراد منه الإلقاء عن قرب والقرب هنا قرب مجازى الغرض منه إسناد وتثبيت المؤمنين فالله - عز وجل - قريب من المؤمنين يثبتهم وينصرهم على الكفار بالإلقاء الخوف فى قلوبهم فهو فة التفسير كقوله إنى معكم فثبتوا.^٢

ويختلف القذف عن الرمى والإلقاء فى نواحي وهى:

١- القذف يتطلب القوة^٣

٢- القذف يتطلب البعد

والإلقاء والرمى لايتطلبان هذه الأمور.

أما الرعب فى معنى الخوف الشديد.^٤ وقرئ بضم العين وهما لغتان يقال رعبته رعبا ورعبا فهو مرعوب ويجوز أن يكون الرعب مصدرا والرعب الاسم وأصله الملاء، يقال سيل رعب يملأ الوادى، ورعبت الحوض ملأته والمعنى سنملاً قلوب المشركين خوفا وفزعا.^٥

^١ - روح المعانى - الألوسى- ١٧٨/٩

^٢ - تفسير ابن كثير - ٢٩٣/٢

^٣ - النسفى - ٣٣٢/٣

^٤ - ينظر فتح القدير الشوكانى /٤ / ٢٧٤ - زاد المسير ابن الجوزى ٢٨٣/٥

^٥ - القرطبي ٢٣٢/٤ - البيضاوى /٤ / ٣٧١

١٣- الأكنة والغلف:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ﴿٤٦﴾ الإسراء: ٤
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ﴿٢٥﴾ الأنعام: ٢٥
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ﴿٥٧﴾ الكهف: ٥٧
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرًا ۗ ﴿٥﴾ فصلت: ٥
- قَالَ تَعَالَى: وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ النساء: ١٥٥
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ البقرة: ٨٨

الكن: ما يحفظ فيه الشيء. يقال: كننت الشيء كنا: جعلته في كن. وخص كننت بما يستر ببيت أو ثوب أو غير ذلك من الأجسام. وأكننت: بما يستر في النفس. وجمع الكن أكنان. والكنان: الغطاء الذي يكن فيه الشيء. والجمع أكنة، نحو غطاء وأغطية. وقوله تعالى " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ " - قيل معناه في غطاء عن تفهم ما تورده علينا،

كما قالوا: " يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول "١.

أو هي في أغطية مما تدعوننا إليه من التوحيد.٢

والأكنة تستر القلوب عن سماع الحق، واستعمل القرآن الكريم جمع الجمع فجمع الكن أكنان وجمع الكنان أكنة وهذه الأكنة تكن قلوبهم وتحول دونها عن إدراك الحق وقبول كراهة أن يفقهوه أي: يفهموه.٣

جاء في المقاييس " غلف تدل على غشاوة وغشيان شئ لشيء، يقال: غلاف السيف والسكين وقلب أغلف كأنما أغشى غلافا فهو لايعى شيئا والمعنى أي قلوبنا مغطاة.٤

١ - المفردات - الأصبهاني- ٦٦٤

٢ - الطبرى - ٩١/٢٤

٣ - البرهان - الزركشى - ٢٨٦ /٢

٤ - المقاييس - ابن فارس - غلف

والغلف: جمع أغلف كقولهم سيف أغلف - أى هو فى غلاف. ويكون ذلك كقوله تعالى: " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ " وقيل معناه: قلوبنا أوعية للعلم. وقيل معناه: قلوبنا مغطاة. وقيل: قلوبنا غلف، هى جمع غلاف. والأصل غلف بضم اللام. وقد قرئ به نحو كتب - أى هى أوعية للعلم تتببها أنا لا نحتاج أن نتعلم منك فلنا غنية بما عندنا.^١

(وقلوبنا غلف) أى قلوبنا محجوبة عما نقول وقرئ بتسكين اللام فيه أى قلوبنا أوعية للعلم فكيف يجيئنا بما ليس عندنا.^٢

١٤ - رين القلوب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ المطففين: ١٤

يقال: أرن يأرن أرونا إذا نشط وخف يقول: خف وأعجل لئلا تقتلها خنقا.^٣
"أرن هذا حرف طالما استثبت الرواة فيه وسألت عنه أهل العلم فلم أجد شيئاً واحداً منهم يقطع بصحته وقد طلبت مخرجا فرأيت أنه يتجه لوجه أحدها أن يكون من قولهم أرن القوم فهم مرينون إذا هلكت مواشيهم فيكون أهلها ذبحاً، وعن الزمخشري كل ما علاك وغلبك فقد ران بك، ورن بفلان ذهب به الموت وأرن القوم إذا رين بمواشيهم أى هلكت وأروانة شديدة صعبة وأرونان مشتق من الرون وهو الشدة ورن الأمر رونا اشتد. فالمعنى إذن هو الشدة التى تقضى إلى الموت والهلاك. والرین فى القلب كالصدأ يغطى القلب، ورن على قلبه يرین رينا ورونا غلب عليه وغطاه. وقيل الرین هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، فالخمر ترین على السكران والموت يرین على الميت.^٤

١ - المفردات - الأصبهاني - ٥٤٦

٢ - التبيان فى تفسير غريب القرآن - الهائم المصرى - ١٧٥-٩٨/١ - وينظر البيضاوى ٣٥٨/١ - القرطبي ٨/٦

٣ - تاج العروس - الزبيدي - أرن

٤ - مجاز القرآن - أبو عبيدة - ٣٥٦ /٣ - ولمجاهد قول قريب ينظر تفسيره - ٧٣٨ /٢

وقال ابن منظور "الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين قال وهو الختم، والإفقال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب، وقال الزجاج ران بمعنى غطى على قلوبهم يقال ران على قلبه الذنوب إذا غشى على قلبه".^١

١٥- تقلب القلوب والأفئدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور: ٣٧

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الأنعام: ١١٠

القلب: تحويل الشئ عن وجهه، قلبه يقلبه قلبا وقد انقلب. وقلب الشئ وقلبه حوله ظهرا لبطن، وتقلب ظهرا لبطن كالحية تتقلب على الرمضاء وقلبت الشئ فانقلب أى انكبت ورجل قلب يتقلب كيف يشاء، والقلب الذى يقلب الأمور ويحتال لها.^٢ وقوله تتقلب فيه القلوب والأبصار معناه ترجف وتخف من الجزع والخوف وعظمة الأهوال.^٣

فتتقلب بين طمع بالنجاة وحذر الهلاك.^٤ والأبصار تتقلب فيه، أى من أى ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أى جهة يؤتون كتبهم.^٥ أو تقلب القلوب أى تتقلب أحوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصره.^٦ أى تعرف القلوب إلا عيانا فتتقلب عما كانت عليه من الشك والكفر ويزداد المؤمنون يقينا ويكشف عن الأبصار غطاؤها.^٧

^١ - اللسان - ابن منظور - ران

^٢ - اللسان - ابن منظور - قلب

^٣ - تفسير ابن كثير - ٢٩٦/٣

^٤ - الطبرى - ١٤٨/١٨

^٥ - تفسير الثعالبي - ١٢٣/٣

^٦ - البيضاوى - ١٩٢ /٤

^٧ - معانى القرآن - النحاس - ٥٣٩ /٤

١٦- القلب السليم المنيب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَّنَ اللَّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) الشعراء: ٨٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾ (٨٤) الصافات: ٨٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٣٣) ق: ٣٣

السلم والسلامة: التعرّى من الآفات الظاهرة والباطنة. وقال تعالى "يَقْلِبِ سَلِيمٍ" أى متعر من الدغل - فهذا فى الباطن. والسلامة الحقيقية ليست إلا فى الجنة - إذ فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وصحة بلا سقم.^١

والسلامة: البراءة من العيوب. والسليم: اللديغ، أو الجريح الذى أشفى على الهلكة، والسالم من الآفات.^٢

واختلف المفسرون فى معنى القلب السليم، فقول السليم من الشرك، فأما الذنوب ليس يسلم منها أحد، قاله أكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، وقيل السالم من آفة المال والبنين. وقال الضحاك: السليم الخالص. وقال الجنيد: السليم فى اللغة اللديغ، فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله تعالى، وقال الرازى: أصح الأقوال: أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة.^٣

والقلب السليم تضمن دلالات عدة، ولكن فى النهاية هو قلب المؤمن المطمئن بالإيمان.

النوب: رجوع الشئ مرة أخرى. يقال: ناب نوبا ونوبة. والإنابة إلى الله تعالى الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل.^٤ وناب إلى الله: تاب.^٥

^١ - المفردات - الأصبهاني - ٣٥٠

^٢ - القاموس المحيط - الفيروزآبادى - سلم

^٣ - فتح القدير - الشوكاني - ١٠٦٠ / ١٩

^٤ - المفردات - الأصبهاني - ٧٧٤

^٥ - القاموس المحيط - الفيروزآبادى - نوب

فهؤلاء هم أصحاب القلوب السليمة الراجعة إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل، البعيدة عن الجهل والأخلاق الرذيلة، الخالية من المرض، التي - وإن أذنبت - تتوب وتعود إلى ربها. فالعلاقة بين القلب السليم والقلب المنيب جاءت من أنه لا يوجد إنسان خالي من الذنوب ولكن لا بد للإنسان من التوبة والرجوع إلى الله ويكثر من عبادته وذكره ليكون قلبه سليماً.

١٧- القلب المطمئن^١:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ آل عمران: ١٢٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ المائدة: ١١٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَطْمِئِنَّ بِهٖ قُلُوبُكُمْ﴾ الأنفال: ١٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمِئِنٌّ بِالْأَيْمَنِ﴾ النحل: ١٠٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَخِثَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ الحج: ٥٤

الطمئن بالفتح الساكن، كالمطمئن، ج: طمون. واطمأن إلى كذا اطمئنانا وطمأنية، وهو مطمئن، وذلك مطمأن وتصغيره: طميئن. وطمأن ظهره: طامنه، ومن الأمر: سكن.^٢

والطمأنينة والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج. وقال "أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ" - تنبيهها أن بمعرفته تعالى والإكثار من ذكره وعبادته يكتسب اطمئنان النفس المسئول بقوله تعالى "لِيَطْمِئِنَّ قَلْبِي".^٣

^١ - جاءت مادة طمن في ٦ آيات ، وخبث في أية واحدة

^٢ - ينظر القاموس المحيط - الفيروزآبادي - طمن - اللسان - ابن منظور طمن

^٣ - المفردات - الأصبهاني - ٤٥٨

ومعنى طمأنينة القلب عند المفسرين ليس ببعيد عن معناها عند أهل اللغة، فقد ذهب أصحاب التفسير إلى نفس المعنى تقريبا من سكون القلب واليقين. فقال الماوردى فى "لِطْمَئِنَّ قَلْبِي" ليزداد يقينا إلى يقينه ولا يجوز ليطمئن قلبى بالعلم بعد الشك لأن ذلك لا يجوز على نبي^١. أو "أزداد بصيرة وسكون قلب".^٢ أو "ليوقن"^٣.

"فَتُخِيتَ لَهُمْ قُلُوبَهُمْ"^٤ يعنى: فتسكن وتطمئن إليه قلوبهم.

^١ - الماوردى . تفسيره - ٣٣٤/١

^٢ - صفوة التفاسير ١/ ١٦٦

^٣ - فتح القدير - الشوكانى - ١٨١ /٣

^٤ - معالم التنزيل - البغوى - ٨٧٢

مراجع البحث (بعد القرآن الكريم):

- الأصبهاني (الحسين بن محمد) - المفردات في غريب القرآن - إعداد د.محمد أحمد خلف الله- مكتبة الأنجلو المصرية- ١٩٧٠م.
- الألوسي (أبو الفضل محمود الألوسي) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم- دار إحياء التراث- بيروت- د.ط- د.ت.
- البغدادي (مجاهد البغدادي. أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي) - كتاب السبعة في القراءات -تح: شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ١٤٠٠هـ.
- البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود) - معالم التنزيل - تح: خالد العك، مروان سوار- دار المعرفة- بيروت- ١٩٨٧م.
- البيضاوي- تفسير البيضاوي - تح عبد القادر عرفات العشا حسونة - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦م
- الثعالبي(عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف)- الجواهر الحسان في تفسير القرآن- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط١- ١٤١٨هـ.
- ابن الجوزي- زاد المسير في علم التفسير- دار المكتب الإسلامي- ط٣- ١٤٠٤هـ.
- الرازي (أبو الفضل محمد بن عمر بن الحسن التميمي) - مختار الصحاح - تح: محمود خاطر -مكتبة لبنان - مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- ١٩٩٥م.
- الزبيدي (محمد بن محد بن عبد الرازق) - تاج العروس من جواهر القاموس- دار الهداية- د.ط- د.ت.
- الزرعي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب) - التبيان في أقسام القرآن - دار الفكر- بيروت - د.ط- د.ت.
- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) - البرهان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار التراث- القاهرة- ط٣- ١٤٠٤هـ.
- أبو السعود (محد بن محمد العمادي) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - دار إحياء التراث- بيروت- د.ط- د.ت.
- سيد الجميلي - الاعجاز الطبلي في القرآن الكريم -مكتبة التحرير - ط٣ - د.ت.
- السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) - الدر الثور- دار الفكر- بيروت- ط١- ١٩٩٣م.
- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- مراجعة: يوسف الغوش- دار المعرفة- بيروت- ط٤- ١٤٢٨هـ.
- الصابوني (محمد علي) - صفوة التفاسير- دار القرآن الكريم- بيروت- ط٤- ١٤٠٢هـ.
- الطبري (محمد بن جرير) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن- تح: أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة- ط١- ٢٠٠٠م.

- العكبري (أبو البقاء محمد بن عبد الله بن أبي عبد الله الحسين) - التبيان في إعراب القرآن - تح: علي محمد الجاوي - دار إحياء الكتب العربية- د.ط- د.ت.
- أبو عبيدة (معر بن المثنى التميمي) - مجاز القرآن - تح: محمد فؤاد سزكين- مكتبة الخانجي - القاهرة- د.ط- د.ت.
- ابن فارس (أحمد بن فارس) - مقاييس اللغة - تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية - د.ط- د.ت.
- الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب) - القاموس المحيط - تح: محمود مسعود أحمد- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط١- ١٤٣٠هـ.
- ابن قاسم (أبو بكر محمد بن الطيب) - إعجاز القرآن - تح: السيد أحمد صقر- دار المعارف- القاهرة- د.ط- د.ت.
- القرطبي (محمد بن أحمد) - الجامع لأحكام القرآن- تح: عبد الرازق المهدي- دار الكتاب العربي- بيروت- ٢٠٠٦م.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر) - تفسير القرآن العظيم- تح: سامي بن محمد السلامة- دار طيبة- الرياض- السعودية- ط٢- ١٤٢٠هـ.
- الماوردى (أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب البصري) - النكت والعيون - مراجعة: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم- دار الكتب العلمية- بيروت- د.ط- د.ت.
- محمد فؤاد عبد الباقي- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - دار الحديث- القاهرة- ١٤٢٨هـ.
- مصطفى محمود- لغز الموت - د.ط- د.ت.
- ابن منظور- لسان العرب - دار صادر- د.ط- د.ت.
- النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل) - معاني القرآن - تح: محمد علي الصابوني- جامعة ام القرى- مكة المكرمة- السعودية- ١٤٠٩هـ.
- النسفي (عبد الله بن أحمد) - مدارك التنزيل وحقائق التأويل- تح: سيد زكريا - مكتبة نزار مصطفى الباز- د.ط- د.ت.
- الهائم المصري (شهاب الدين أحمد بن محمد) - التبيان في تفسير غريب القرآن - تح: فتحى أنور الدابولى- دار الصحابة- طنطا- ط١- ١٩٩٢م.
- الواحدي (عبد الله محمد سليمان) - الوجيز فو تفسير الكتاب العزيز- تح: صفوان عدنان داوودي - دار القلم - الدار الشامية - ط١ - ١٤١٥هـ.